القيصر كاليغولا

جعل الناظرون في التاريخ يحثون عن نذٍ لامبراطور الالمان فشبهوهُ احد كتّاب الانكليز بالملك لويس الرابع عشر ملك فرنسا وشبهوهُ احد المؤرخين الايطاليين بالقيصر كاليغولا . وقد رأينا في ما كتبهُ هذا المؤرخ عن كاليغولا حقائق لم نرَها في تاريخ آخر فاثرنا اقتطافها واضفنا اليها بعض ما ذكرهُ سوتونيوس اشهر مؤرخي الرومان الاقدمين

كان القيصر طيبار يوس الذي توفي سنة ٣٧ للميلاد شديد الوطأة على شعبهِ فلما مات تنفسوا الصعداء ونظروا الى من يخلفهُ نظرهم الى منقذ ينقذهم من جورهِ

وقد مات طيبار يوس غيلةً في مسينا على خليج نابلي وكان كاليغولا هناك ولعلَّ اغتيالهُ كان بدسيسة من كاليغولا لكنهُ رافق رفاتهُ الى رومية كانهُ اعز اصدقائهِ فلقي في طريقهِ اليها من احتفال الناس بهِ ما لا يلقاهُ الاَّ ملك ظافر

وكان كاليغولا حينئذٍ شابًّا في الخامسة والعشرين من عمرهِ فاقرَّهُ مجلس الشيوخ امبراطوراً وخصَّهُ الملك بهِ مع ان طيبار يوس كان قد اشرك معهُ آخر في ولاية العهد . وبلغ السرور من اهل رومية انهم ضحوا في ثلاثة اشهر ١٦٠٠٠ ضحيَّة شكراً للآلهة على منحها اياهم هذا القيصر

وظهر في اول الامر ان سرورهم كان في محلهِ لان كاليغولا ردَّ السلطة الى مجلس الشيوخ في كل الامور الجوهرية وخفض الضرائب وعفا عن كثيرين من المجرمين وردَّ الذين نُفوا في عهد طيبار يوس وامر ان تحرق السجلات التي فيها قصصهم لكي لا يبقى سبيل للانتقام من الذين شكوهم . وعمل اعمالاً اخرى من هذا القبيل فزاد ابتهاج الرومانيين بهِ ولقَّبوهُ بالتقي والصالح والعظيم . ومرَّت الشهور الاولى من ملكهِ على ما قالهُ فيلون الاسكندري ولا يُرَى في المدن الاَّ الضحايا تضحَّى على المذابح شكراً للآلهة والناسُ في البياض والاكاليل على رؤوسهم كأنهم في عيد دائم

ولكن هذا السرور كان قصير المدة لم يدم الاَّ سبعة اشهر لان كاليغولا لم يكن سليم الجسد ولا سليم العقل بل كان معرَّضًا لداء الصرع من صغرهِ . والمعرَّضون لهذا الداء يكونون في الغالب قساةً كثيري التقلُّب محبين لسفك الدماء ويستنتج مما ذكرهُ المؤرخون الاقدمون من اعمال كاليغولا انهُ كان من الذين صرعهم يحملهم على القسوة وارتكاب الجرائم فكان اول عمل عملهُ بعد الحسنات الكثيرة التي اسداها الى شعبهِ في الاشهر الاولى من

وفد يهود الاسكندرية امام التيصر كاليغولا

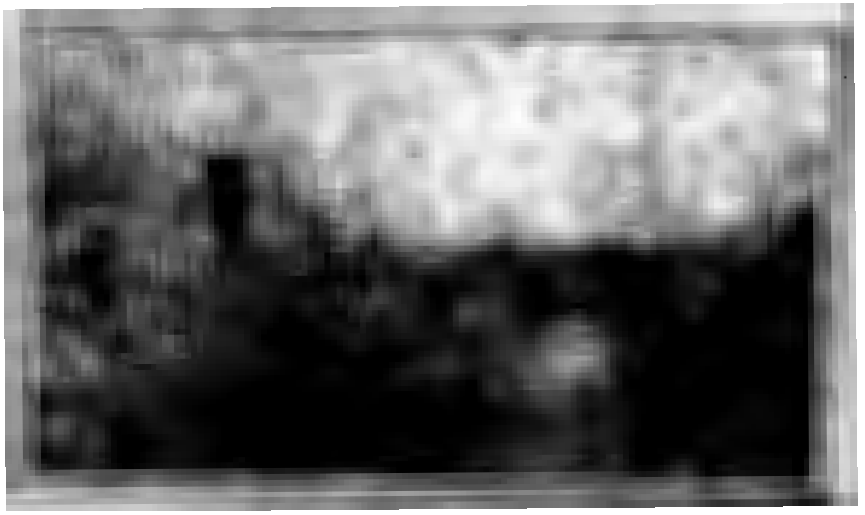

قصور القياصرة في رومية

المقتطف صفحة ١٦ مجلد ٤٧

سلكهِ انهُ افرط في الاكل والشرب والفجور فتلفت صحتهُ واعتراهُ مرض شديد كاد يودي بهِ . ولم يكن اعوانهُ يعلمون سبب مرضهِ فسهروا عليهِ وودوا ان يفدوهُ بارواحهم ثم فارقهُ المرض واخذ معهُ كل ما كان فيهِ من حنان وعدل واعتدال وتركهُ في حالة الجنون المطبق

وكان من اول آثار جنونهِ انهُ اضطرَّ حفيد القيصر طيبار يوس سلفهِ الى الانتحار وفتك بماركوس سليانوس حميهِ ابي زوجتهِ الاولى وبكرون رئيس الحرس الخاص وكان اصدق مشيريهِ . سعى في قتل الاول لانهُ اوعز منذ سنين وقتل الآخر لانهُ نصحهُ ليعتدل كما كانا ينصحانهِ قبل مرضهِ . والشريعة الرومانية لا تبيح للقيصر ان يقتل احداً او يأمر بقتل احد الاَّ اذا حوكم وحكم عليهِ بالقتل فلما اشتهر في رومية والاقاليم الرومانية قتلهُ هؤلاء الثلاثة اندهش الشعب ووقفوا حيارى ولكن اهالي الولايات الشرقية لم يستغربوا ذلك لانهم كانوا قد الفوا هذا النوع من الاستبداد في ملوكهم وهو كان اميل اليهم منهُ الى اهالي رومية ولذلك جعل كل حاشيتهِ منهم قبل ان صار امبراطوراً وكان خدمهُ كلهم تقريباً من المصريين فلما صار امبراطوراً حاول الاقتداء بالبطالسة في ابهة ملكهم وان يُعبَد مثلهم ومثل الفراعنة الاقدمين فادَّعى اولاً انهُ اله من الآلهة الصغار لانهُ خشي ان يرتقي الى مصاف الآلهة الكبار دفعةً واحدة . ندهش الرومانيون من ذلك لانهم لم يألفوهُ من قبلُ ولا ادَّعى احد من اكبر قياصرتهم انهُ اله اما هو فلم يعبأ بدهشتهم بل جعل يلبس لبس الالهة الصغار على ما هو مسطور في الكتب او مشاهد في الهياكل . ولما رأى اشمئزاز الشعب من ذلك لم يخجل لان الجنون والخجل لا يجتمعان بل عمد الى اغاظتهم بالاغتال في ادعاء الالوهية فجعل يلبس كالآلهة الكبار عطارد والمريخ وابلون

وكان الاقدمون اقرب من ابناء هذا العصر الى مزج البشر بالآلهة ولكن افعال كاليغولا لم تركب على عقول الرومانيين خاصتهم وعامتهم لاسيما وانهم رأوا من استبدادهِ ما اثار سخطهم . ومن المحتمل ان المؤرخين بالغوا كثيراً في ما نسبوهُ اليهِ من الفظائع ولكن لا شبهة في انهُ ساس المملكة سياسة شاب مصاب بالصرع تتقلَّب اطوارهُ من يوم الى يوم ويعمل اعمالهُ حسب تقلب اهوائهِ غير مقيد بقانون او ناموس او عادة

ولدينا شهادة مؤرخ من اصدق المؤرخين وفيلسوف من اكبر فلاسفة اليهود وهو فيلون الاسكندري صاحب التصانيف الكثيرة فانهُ لما ادَّعى كاليغولا الالوهية وامر الناس ان يعبدوهُ في كل مكان لم يعمل اليهود بامرهِ وكان لهم خصوم كثيرون ولا سيما في الاسكندرية حيث كانوا كثاراً وعلى ثروة طائلة فاثاروا رجال الحكومة عليهم ليجعلوهم ينصبون التماثيل لكاليغولا

في معابدهم فابوا وكثر الشغب بسبب ذلك وشكي عليهم الى كاليغولا فاغتاظ منهم وامر والي سورية ان ينصب تمثاله في هيكل اورشليم. فارسل يهود الاسكندرية وفداً الى رومية برئاسة فيلون هذا ليبسط لهُ سبب امتناعهم عن وضع تمثاله في هياكلهم وان ذلك ليس ناتجاً عن احتقارهم لهُ او عصيانهم لاوامره بل لان دينهم يأمرهم بعدم وضع التماثيل في هياكلهم. وكان فيلون من اهل الوجاهة كما انهُ كان من رجال العلم والفلسفة فان اخاهُ كان ملتزماً اعشار الحوف الشرقي من بلاد مصر مما يدل على انهُ كان على ثروة طائلة وجاه عريض

ولما رأى خصوم اليهود انهم ارسلوا هذا الوفد ارسلوا هم ايضاً وفداً آخر لكي يحبط مساعي اليهود فوصل الوفدان الى رومية واقاما فيها زمناً طويلاً قبلما تمكنا من مقابلة الامبراطور لانهُ كان مشغولاً باشغال كثيرة واخيراً سُمح لهما ان يقابلاهُ في مكانين بضواحي رومية كان قد ذهب اليهما ليشرف على بعض التغيير في القصور التي بناها فيهما ولما أُمر الوفدان بالمثول بين يديهِ التفت الى رجال الوفد اليهودي وقال لهم

أأنتم اعداء الآلهة الذين يحتقرونني ويفضلون عبادة الههم الذي لا اسم لهُ على عبادتي

ولما سمع رجال الوفد الآخر هذا الكلام جعلوا يعيرون اليهود وقام النزاع بين الفريقين فنهض الامبراطور وتركهم يتخاصمون وجعل يجول في قصره ويتفقد ما فيهِ من المباني واعمال الترميم وهو ينتقد ما يراهُ ويأمر بتغييرهِ او تعديلهِ. قال فيلون «فقمنا وتبعناهُ نحن وخصومنا والخصوم يعيروننا ويشتموننا ونحن نصعد وراءهُ وننزل من طبقة الى اخرى كاننا في ملعب من الملاعب». ولما اتمَّ اشرافهُ على مباني القصر وقف بغتةً والتفت الى الوفد اليهودي وقال لهم لماذا لا تأكلون لحم الخنزير. فتهقه رجال الوفد الآخر حتى كادوا يقعون على الارض واراد اليهود ان يتكلموا فحُصروا عن الكلام ولكن الامبراطور قال لهم هاتوا اخبروني ما هي شريعتكم وقبل ان يجيبوهُ تركهم وجعل يمدو في القصر من مكان الى آخر يأمر هذا وينهى ذاك ثم عاد اليهم وقال لهم قولوا ما تريدون. ولم يكادوا يشرعون في الكلام حتى التفت الى الذين حولهُ وجعل يتكلم عن بعض الادهان التي تدهن بها الجدران ثم التفت الى اليهود وقال ان هؤلاء الحمق احق بالشفقة منهم بالعقاب لانهم لا يعلمون اني الهٌ أُعبَد

وقد يكون فيلون مبالغاً في ما ذكرهُ ولكن مهما استقطنا من كلامهِ يبقى منهُ ما يدلُّ على ان كاليغولا لم يكن سليم العقل وعلى ان مَن كان كذلك لا ينتظر منهُ الآن يلقي التشويش في مملكتهِ. فاضطربت شؤون الامبراطورية الرومانية من انضمامها الى اقصاها وكثر فيها الظلم والجور والاستبداد وظلَّ هو يعتقد انهُ الهٌ عالم بكل شيء وقادر على كل شيء وانهُ فوق كل

احد علماً ومعرفةً · واراد مرةً ان ينزع اشعار فرجيل وتاريخ ليفي من كل المكاتب زاعماً ان اشعار فرجيل خالية من الاختراع الشعري وتاريخ ليفي خالٍ من الدقة · وعزم مرةً اخرى ان يستأصل اشعار هوميروس قائلاً ان افلاطون نفاها من جمهوريته فعلى م لا يحق لي ما حق لافلاطون · وخطر لهُ في وقت آخر ان يمنع المفتين من الافتاء قائلاً انهُ لا يحق لاحد غيره ان يفتي

واشار بانواع جديدة من الحمامات واخترع الوانًا غريبة من الاطعمة وانفق اموالاً فاحشة على بدع قديمة وعمل اعمالاً هندسية كبيرة ولا غرض لهُ منها الاَّ انفاق الاموال الطائلة او اظهار مقدرتهِ على الطبيعة فكان يقطع اصلب الصخور ويمهد الجبال فيجعلها سهولاً ويرفع السهول فيجعلها جبالاً ويبني السدود في اعمق البحار غير قاصد منفعة ولا سائل عن نفقة

كان القيصر اغسطس قد نصب تماثيل اعظم العظماء في التاريخ الروماني فامر كاليغولا بنزع هذه التماثيل كلها لكنهُ استثنى منها تمثال مرقس انطونيوس لانهُ فكَّر في نقل كرسي الملك الى الاسكندرية واحياء دولة البطالسة · وابطل عيد معركة أكتيوم التي قُهر فيها انطونيوس لانهُ قال ان قهرهُ من المخازي التي يجب ان تنسى · وامر ان لا ينصب تمثال لحي ولا لميت الاَّ باذنهِ فجعل نفسهُ فيصلاً في الحكم على استحقاق الناس في الحاضر وفي الماضي ايضاً · ونزع ترس الاسكندر المكدوني من مدفنهِ في الاسكندرية واتى بهِ الى رومية وجعل يلبسهُ في الحفلات الكبيرة

وانقلب جنونهُ ذات يوم الى رغبة في الحرب والظفر · ولم يكن يعلم شيئًا من فنون الحرب ولا خاض معركة من معاركها لكنهُ جمع جنود رومية وزحف بهم على بلاد الغال (فرنسا) قاصداً ان يبلغ المانيا وانكلترا فالتقى في طريقهِ بادمينتوس بن كيلين ملك الانكليز وكان ابوهُ قد نفاهُ من بلادهِ فعرض عليهِ ادمينتوس ان يعود معهُ الى رومية وللحال بعث بالبشائر الى رومية انهُ تغلَّب على بلاد الانكليز وامر الرسل الذين يحملون هذه البشرى ان لا يسلموها لحاكم المدينة الاَّ في هيكل المريخ وفي حضور مجلس الشيوخ

وقد وصفهُ سوتونيوس ووصف غزوتهُ هذه وصفًا بديعًا قال ما خلاصتهُ

عزم مرةً ان يلبس تاجًا مثل احد الملوك ويجعل الامبراطورية الرومانية مملكة فقال لهُ احد اعوانهِ ان مجدهُ يفوق مجد الملوك كلهم فقال اصبت وادَّعى الالوهية وامر ان يؤتى من اثينا باعظم تماثيل الآلهة المشهورة وتقطع رؤوسها وتبدل برؤوسهم رأسهُ وبنى هيكلاً لنفسهِ نصب فيهِ تمثالاً لهُ من الذهب وامر ان يلبس كل يوم ثوبًا مثل الثوب الذي كان يلبسهُ هو · وتسابق عظماء رومية الى جعل انفسهم كهنة في هذا الهيكل وكانوا يتباعون

هذا المنصب باغلى ثمن . وكانت الضحايا التي تضحّى فيهِ من اغلى انواع الطير كالطاووس والبشارون والحباري والهج ودجاج الحبش . وكثيراً ما كان يُرى مخاطباً البدر ليلاً والمشتري نهاراً . وكان يغضب ان عدّهُ احد من القياصرة وانكر انهُ من سلالة اغريبا وادعى انهُ ابن القيصر اغسطس من ابنتهِ جوليا . وادعى ان جدتهُ ليڤيا ام جوليا هي عولوس الحكيم نفسهُ متقمصة بجسم امرأة . وتزوج باخواتهِ كلهنّ وجعل احداهنّ دروسلاً ولية لعهدهِ ولما ماتت امر ان تحد البلاد عليها ومن ضحك او اغتسل مدة الحداد فعقابهُ الموت ولم يعد يحلف الاَّ باسمها . ولما كان ذاهباً في الغزوة المشار اليها آنفاً كان يغذ السير احياناً حتى كان حملة الاعلام يضطرون ان يلفوها ويضعوها على ظهور خيلهم لكي يستطيعوا ان يجاروهُ في عدوهِ ثم يتمهل ويأمر ان يوضع في محفّة يحملها ثمانية رجال ويسيروا بهِ الهوينا ويأمر ان تكنس الطريق امامهُ وترش بالماء . ولما استعرض الجيش عزل كل القواد الذين جاؤوا متأخرين مع الجنود الاضافية وكل القواد الذين استوفوا سن الخدمة لكي يظهر ان القيادة العامة لهُ وانهُ الآمر الناهي . وبعد ان حدثت حادثة ادمينوس المشار اليها آنفاً امر ان يذهب بعض جرسهِ الى الجانب المقابل من نهر الرين ثم يأتيهُ المخبرون قائلين ان العدو مقبل عليهِ فلما اتوا خرج بجانب من رجالهِ الى غابة مجاورة وقطع منها اغصاناً من الاشجار وعاد حاسباً انها غنائم غنمها من العدو وبخ بقية رجالهِ الذين لم يتبعوهُ في هذه الغزوة راميا اياهم بالجبن وضعف العزيمة وانعم على الذين تبعوهُ في غزوتهِ واحرزوا النصر معهُ باكاليل عليها شعار الشمس والقمر والنجوم . وامر ان يؤخذ رهائن من تلامذة مدرسة ويطلق سبيلهم ثم أنفذ خبرهم اليهِ وهو على المائدة فركب جواده وجدّ في اثرهم كأنهم هاربون من وجههِ وردهم مكبلين بالقيود . وبعث الى رجالهِ في رومية يعنّفهم لانهم يقضون اوقاتهم في اللهو واللعب وامبراطورهم يتجشم مشاق الحرب ويعرّض نفسهُ للمخاطر

واخيراً وصل الى ساحل الاوقيانوس بجيشهِ وآلات حربهِ فوقف وامر الجنود ان يجمعوا اصداف البحر ويملأوا بها خوذهم قائلاً انها غنائم الاوقيانوس ثم اقام هناك برجاً عالياً تذكاراً لظفرهِ هذا وامر ان يوقد فيهِ نور ساطع كل ليلة ارشاداً للسفن ثم وعد الجنود ان يعطي كلاً منهم مئة دينار وقال لهم انصرفوا الآن وافرحوا فقد صرتم اغنياء

ولما ازمع العودة قبض على كل طويل القامة من الغالة وامرهم ان يطلقوا شعورهم ويصبغوها بصبغ اصفر ويتعلموا اللغة الالمانية لكي يقال انهم من اسرى الالمان . وكتب الى جباة الاموال الاميرية في رومية ليعدوا المعدات لاستقبالهِ من غير اسراف ولكن يجب ان

	اللبن الرائب	اللبن المخيض
الحامض اللبنيك	٦٦ر٠ في المئة	٨٠ر٠ في المئة
الالكحول	٢٣ر٠ «	٠٠٠ «
الرماد	٦٤ر٠ «	٧٥ر٠ «

ومعظم الفرق في كثرة المادة السمنية في اللبن الرائب ووجود شيء من الالكحول فيهِ وهو الذي يجعل طعمهُ لذيذاً منعشاً كأن فيهِ شيئاً من الخمر

اللبن المكثَّف

يظهر مما تقدم من تحليل اللبن الحليب واللبن الرائب ان نحو تسعة اعشار اللبن ماء فاذا امكن نزع جانب كبير من هذا الماء قلَّ حجم اللبن ولم تقلَّ فائدتهُ الغذائية لان لا عبرة بما فيهِ من الماء بل بما فيهِ من المواد الاخرى . والماء تسهل اضافتهُ اليهِ في كل حين . ومتى قلَّ حجم اللبن سهل نقلهُ من مكان الى آخر وقلَّت نفقات النقل فينقل من المزارع حيث يكون كثيراً رخيص الثمن الى المدن حيث يكون قليلاً غالي الثمن . وكثيراً ما يضاف اليهِ سكر وقت تكثيفهِ لتحليتهِ وزيادة حفظهِ . ومن امثلة ذلك ان بعض السكان في هذه العاصمة يبتاعون اللبن المكثَّف آتياً من بلاد سويسرا او غيرها من البلدان الاوربية لانهم يجدونهُ ارخص واصلح من اللبن البلدي . والغالب ان يوضع اللبن المكثف في آنية من الصفيح وتسدَّ سدًّا محكماً لكي لا تدخلهُ ميكروبات فيحفظ كذلك شهوراً وسنين ويكون شديد القوام كالعسل

وتكثيف اللبن صناعة كبيرة والتجارة باللبن المكثَّف واسعة جدًّا فقد ورد الى بلاد الانكليز سنة ١٩١٣ من اللبن المكثَّف ٠٠٠ ٢٥٢ ١ قنطار وصنعت معامل الولايات المتحدة من اللبن المكثَّف سنة ١٩٠٠ نحو ١٨٧ مليون رطل ثمنها نحو ١٢ مليون ريال ثم زاد ما صنعتهُ رويداً رويداً حتى بلغ ٤٩٥ مليون رطل سنة ١٩٠٩ ثمنها نحو ٣٤ مليون ريال نصفها من اللبن المحلَّى بالسكر ونصفها من اللبن غير المحلَّى

ويكثَّف اللبن المحلَّى هكذا : — يسخَّن اللبن الجديد على الدرجة ١٦٠ الى ١٨٠ بميزان فارنهيت لطرد الغازات الذائبة فيهِ ثم يصب في اناء مفرغ من الهواء ويضاف الى كل مئة رطل منهُ ١٦ رطلاً من السكر ويسخَّن على درجة ١٣٠ الى ١٥٠ فارنهيت حتى يصير بالكثافة المطلوبة او حتى يصير من كل رطلين ونصف من اللبن الحليب رطل واحد من اللبن المكثَّف فلا يبقى فيهِ الا نحو ٣٠ في المئة من الماء . ولكن مقدار الماء والتكثيف يختلفان كثيراً باختلاف المعامل فقد يقل الماء حتى يصير اقل من ٢٢ في المئة وقد يزيد حتى يكون اكثر من ٣٧ في

المئة والمتوسط نحو ٢٧ في المئة . وقس على ذلك سائر مواد اللبن فان نسبتها تقلُّ بزيادة الماء وتزيد بقلة الماء الاَّ السمن فانهُ قد يقلُّ كثيراً اذا مُخض جانب من اللبن قبل تكثيفهِ

واللبن غير المحلَّى يكثَّف كما يكثف اللبن المحلَّى ولكن لا يضاف اليهِ سكر . وهو في الغالب اقل كثافة من اللبن المحلى ويعقَّم بعد وضعهِ في آنية الصفيح وختمها لئلاَّ يفسد

ومتى علم مشترو اللبن المكثف ان كل رطل منهُ يقوم مقام رطلين ونصف رطل من اللبن الجديد غير المكثف عرفوا ما يستحقهُ من الثمن فاذا كان ثمن الرطل من لبن البقر العادي غرشاً فالرطل من لبن البقر المكثف يساوي غرشين ونصف غرش

مسحوق اللبن

وقد يجفف اللبن ويباع مسحوقاً كالدقيق وذلك بتجفيفهِ في آنية مفرغة من الهواء على حرارة معتدلة ثم اخراجهِ منها وفحنهِ رشاشاً في آنية كبيرة فيها هواء حار جاف فيزول ما بقي فيهِ من الماء ويقع هو ذرات صغيرة جامدة ليس فيها الاَّ نحو ٢ في المئة من الرطوبة . وقد بلغ عدد الاساليب المختلفة لعمل مسحوق اللبن التي نال اصحابها حق الامتياز في الولايات المتحدة حتى سنة ١٩١١ ستين اسلوباً وصنع فيها ٨٥٠٠٠٠٠٠ رطل من مسحوق اللبن سنة ١٩١٠ ولكن اكثرهُ من اللبن المخيض لانهُ يصعب بيع اللبن المخيض في اميركا ولان تجفيفهُ وحفظهُ مسحوقاً اسهل من تجفيف اللبن غير المخيض وحفظهِ

الزبدة

اذا وضع اللبن في اناء واسع قريب القاع حتى انبسط فيهِ طفت القشدة على وجههِ ومنها تستخرج الزبدة . وكانت الزبدة تستخرج من القشدة بالمخض اما الآن فصارت تستخرج من اللبن مباشرة بقوة التباعد عن المركز فان اللبن المخيض اثقل من الزبدة التي فيهِ فينفصل عنها بقوة التباعد عن المركز اذا وضع في اناء يدور على نفسهِ بسرعة فائقة ويكون لهُ في الاناء انبوب يخرج منهُ . وهذه الآلات منها ما هو صغير يدار باليد ومنها ما هو كبير يدار بالبخار وعلى سرعتها يتوقف مقدار ما يفصل من القشدة عن اللبن فقد لا يبقى في كل الف رطل من اللبن الاَّ رطل واحد من الزبدة

السمن

السمن زبدة سُخنت حتى انفصلت عنها المواد الجبنية المتصلة بها وهي مواد نيتروجينية معرَّضة للفساد فيبقى السمن سليماً بعد ذلك وما هو الاَّ المادة الدهنية او الزيتية التي في اللبن . والغالب ان كل مئة رطل من الزبدة يخرج منها ٨٥ الى ٩٤ رطلاً من السمن